



لهيب وطيب

سلامة عيد

مقدمة

الديوان عنوانه (لهيب وطيب)، وهو كذلك ، فلو لم يحترق سلامة عبيد في جحيم الآلام لما خرج من رأسه هذا الشعر العربي الفصيح الذي لم تفسده رطانة وميوعة هذه الحقبة . قلنا أنه تألم والألم معصرة القلوب والعقول ، عفواً فلنقل انبيق لأن الطيب يستقطر استقطارا على اللهيب ، وأي لهيب أحرّ من لهيب النبك في صحراء نجد التي عرفها سلامة طفلاً مشرداً مع أبيه والعائلة بعدما وضعت الثورة السورية أوزارها.

ومن العنوان ننتقل إلى «حنين» ليظل لحديثنا سياقاً ، فسلامه يحن إلى الشقاء إذا فقد ، ومع حق ، لأن الشقاء محك الأدمغة التي يكمن فيها الشر ، ولو جاز لي أن أنقل القصيدة برمتها لنقلتها، ولكني أخاف من غيرة اخواتها وإن يعلق الشر بينها وبينهن ، وأنا كدت أصير شيخاً ولا قبل لي بإرضاء العذارى، سنكتفي بشيء منها ثم نعود إلى غيرها.

موضوع القصيدة حياة سلامة المنبثقة من صميم قلب الشقاء ، وسلامة كما قال ابن المعتز ، وأرحمُ القبح فأهواه ، ولذلك يحن إلى بلاياه في النبك فيقول:

الخيام لديك مبعثرة جائيه
وتصفعها ريحك السافيه
رهيب بسمرته القاسيه....
من القيد أو ظله عاريه
وأفياؤها في المسا ضافيه
يروح ويغدو مع الماشيه

ربي النبك هل تذكرين
تحاول شمسك احراقها
وقوم عرينهم شامخ
أتوك ويا حبذا واحة
وظفلا سباه جلال القفار
صغيراً بلا مئرزٍ أشعثا

ويقتضينا السياق الفكري أن نتقل من النبك إلى «ابو رمانه» التي كانت حافله بأرداء الشجر فيصفها وصف قصاص ماهر ولا يتخلى عن خياله الشعري حيث يتحدث إلى بنته واصفاً الصبير بلسانها فيقول:

يا ربّي أساطير...	فهل هذي القصور البيض
وكانت ملعباً قفراً	أما كنا هنا أمس
بيدي شوكتها الشراً	وغابات من الصبار
فيلوي خائفاً يجري	يخاف النهر مرآها

ثم يجيب تلك البنية عما حدا بها إلى التساؤل فيقول لها:

فماذا كان في أمس	ذكرتِ الأمس يا بنتي
والحرمان واليأس	أما عضك ناب الجوع
طيور القنّ للجار	فبعنا ما تبقى من
لنا في بيتنا حبا	لأنا لم نعد نلقى
ورد الخد والبرد	أما أدمت سياط الريح
على جنبك ينقد	وعاد المعطف البالي
من كراس اشعاري....	فأشعلنا لك الموقد

وفي هذه القصيدة التي تعصر القلب يصف ذهابه وبنته إلى الفرن فيلقاهم الخباز بوجهه الصفيق ويتبعونه أذلاء:

وللشرطي ارعاد وللحودي تجديد

ثم ينتهي إلى إجابة بنته عن القصور الشاهقة التي سألتها عنها وقد حلت محل الصبار فتبلغ التجربة كما يعبر شعراء اليوم حدّها الأعلى فيهتف في الختام:

نعم هذي القصور البيض من أكبادنا تُبنى
فلن نبقى كما كنا عبيد الذل والجوع

إن وصف الجوع في هذه الصراحة لم تقرأ له مثيل إلا في العصر العباسي ،
وهذا نموذج من ذلك الطراز الفريد وهو لأبي الشمقمق الذي قال يصف أولاده
في العيد:

وقد دنا الفطر وصبياننا	ليسو بزدي قمرٍ ولا أرز
وذاك أن الدهر عاداهم	عداوة الشاهين للوزّ
كانت لهم عنز فأودى بها	وأجدبوا من لبن العنز
فلو رأوا خبزاً على شاهق	لأسرعوا للخبز بالجمز

لكأني بالاستاذ عبيد قد جعل من حياته ملحمة من حيث لا يدري ، وهو
مع كل ما قاسى من شقاء ظلّ شامخ الرأس كالسنديانة التي لم تطأطئ رأسها
للعاصفة، وحسبك من قوله في قصيدة (غدا) الجبارة الحافلة بالرجاء والطموح
فيقول:

غدا في غد تهدأ العاصفة	وتبسم جناتنا الوارفة
ويطوى الحديد على نفسه	وينتحر السوط من يأسه

وهو في هذه القصيدة الصغيرة يتخفف من القافية المقيدة الطويلة النفس
ولكنه يظل متأبطاً ذراع الخليل وكأنه من المؤمنين بقول أندريه جيد: يعيش
الفن في القيود ويموت إذا أطلقت حرّيته.

وشاعرنا موضوعاته متعددة وهو حماسي في وصف بلواه ، وله تعابير خاصة

وكم كنتُ أرتاح حين كنت أقرأ وظيفته في الدراسة والنقد حين كان عندي في المدرسة.

إن موضوعات هذا الديوان متنوعة وهي مرتبطة بشخصية الشاعر أشد الارتباط وعاطفته العربية متقدمة مشبوبة. فقد نشأ في كنف والد مجاهد أبي، وفي ظل أستاذ، ولا فخر، كان للعروبة يوم لم يكن لها أحد إلا بعض شعراء مهجريين، وقيдом هذه الحملة كان الشاعر الملهم رشيد سليم الخوري الشاعر القروي - الذي ملأ الخافقين رنين قوافيه، وظلّ شاعراً قروياً.

وفي قصيدة (عيد الجلاء) ينحو سلامة نحو الاستاذ ميخائيل نعيمة في قصيدته المشهورة: أخي إن ضج بعد الحرب،..الخ. يجب أن نقول أنه عارض لا نحا، لأن الاستاذ نعيمة سلبي وسلامه إيجابي، ميخائيل حقاّر قبور يحمل الرفش والمعول وسلامة كصخر الخنساء حمال الوية، هباط أودية.... فاسمعه يقول في ساعة النصر:

أخي، هذا لوانا اليوم في أوج السما حرُّ
خفوق حوله الآمال والأحلام تفتت
فقد شئناه للعزة والإيمان عنوانا

وكان الحق يراعه

فرف على جبين الشمس بعد اليأس نشوانا

وبعد أن اشرب شاعرنا سلامه واشمخر عاد الى حني الرأس تمجيداً لذكرى شهداء الثورة التي رافقها سلامة حين شب عن الطوق. ذكرنا صديقنا فيلسوف الشخروب بهذه المناسبة فلا بد من الإتمام فنقول قصيدة نعيمه طرية ناعمة وقصيدة سلامة أقرب إلى لسان العرب منها إلى لساننا اليوم.

إما قصيدة (أغنية أم) فكان أحرى أن تعنون: مناحة صامته ، وما أروع صرخة تلك الأم حين تهتف بولدها الباكي:

جوعان ما ذنبي ثديي غدا خرقة

وفي قصيدة الخريف يذكرني بالتشبيه اللبناني حين يصف فوغة الأغربة فيقول:
وعلى شريط الكهرباء أسراب رهبان صغار

وفي قصيدته (الحدود المحطمة) كان كأنه يتنبأ:
وغداً سنمشي أمة عرباء رائدها النظام

وفي قصيدة الحداد يعجبني عشق الجماد الحامي كقوله: يخاطب القيون:

يا مضمم النيران زدها لظى
يهوى الحديد النار وهاجة
واضرب فبئس الضربة المشفقة
ويشتهي السندان والمطرقة

ولا عجب في هذا الرأي بعدما علمتنا الكتب أن بعض النساء يلدن لهن لسع
الكرباج متى حمى تنور الهوى... وقصيدة (أهواك) وهي مطلع هذا الديوان
الرائع، ولما كنتُ أفتش دائماً عن العبارات الشخصية وأكلف بها يعجبني قوله
فيها مخاطباً جبل حوران أو جبل الدروز:

فديتها كل فتى باسل أتقن فن الميثة السامية

وكان العهد أن في سلامة شيئاً من السخر فالظاهر أن المجال لم يفتح له لأنه
شغل نفسه بالفتوة وهو ينقر على وتر لا ينقر عليه أحد في هذه الأيام لأن
الأدباء ينشغلون بالرموز عن الحقائق.
وبقي الرثاء وفيه يبدو سلامة أتوناً مضطرباً وتنورا مسجورا ببيان شهى
وعبارات كالبنيان المرصوص مع رطوبة اللولو وبريق الماس.
وما أخذت عليه إلا تأنيث (الرفات)، كما أن لفظة (تتقفق) لم تعجبني
قافاتها وفاءاتها، ولكن الديوان رغم هذه الملاحظة التي كان يجب أن يبرأ منها،
يظل في صدر ديوان العرب وهو كتاب الموسم.

عين كفاع: مارون عبود

أهواك

أهواك أيها الجبل
الذي تفجر براكين لاهبة
والذي أنبت فيليب العربي امبراطور روما
والذي قيل فيه:
«جبل الرب، جبل باشان»

ويا حبذا جبل الريان من جبل
وحبذا ساكن الريان من كانا

أهواك
رغم المحاولات الاستعمارية اليائسة
للنيل من تاريخك المجيد.....

وفي صميم الثورة الداميه
وقادةً وهاجّةً عاتيه
ويا عرينَ الأسد الضاربه
الا بقايا رممٍ باليه
لولا وميض العزمة الباقيه

أهواك ، لكن بين لمع الطُّبى
وفوق أركان السهّى شعلّةً
يا موطنَ الأحرار، فيما مضى
لم ألق في مغناك، واحسرتا!
يكاد يخبو النور في جوها

* * *

بعد اتقادِ صاحب، غافيه
بسمرةٍ لاهبةٍ صادية
لا شاعر يشدو ولا راويه
وللخلود التحفَ الغالية؟
وتنثني خاشعةً حانية
صاغوا لها آلهة ثانية

أين جبالُ النار؟ ما بألها
وسفحك المخضرُّ بدلتَه
لا الطير في أرجائه تختدي
أين الألى شادوا لذكراهم
تهتز روما تحت أقدامهم
من صخرك الأسمر، يا موطني

غذيتها في الحقب الخالية؟!
أتقن فن المينة الساميه
وللمنايا صولة راغيه

أين الأبواتُ التي طالما
فديتها كل فتى باسلٍ
يحمي حماها صارماً مرهفاً

حلواً طروب الوزن والقافية
رغم ضياع الشهرة الضافية
يوماً، فلن تبقى المدى عاريه

يا جبلي، يا مقطعاً شقيماً
أهواك! رغم الضيم، رغم الأسى
إن تفقدِ الدوحة أوراقها

السويداء ١٩٣٩

ليتني أنسى

ليتني أنسى.....
قصيدة تتجاذبها ذكريات حلوة
من دمشق.... والربوتين
وسحر من
جبل لبنان.....

من شبابي مرّ، بين الربوتين
وتثنّي بردى والضفتين

ليتني أنسى زماناً طيباً
وأحاديث الهوى ريانةً

* * *

وتلاشي كل همس واندثر
ورنا النجم بخوف وحذر
ردّ الآهات والغاب اقشعر
في عروق الليل، واحلولى السمر
وشذا الوادي وأحلام السحر
هيجت ذاكره دمعي فانهمر

فإذا ما الليل أرخى ستره
وتهادي البدر في عليائه
وإذا ما الريح في ثوراته
وتمشّت نشوةً محمومة
أذكر الماضي وأبكي بردى
وزماناً، كلما الليل هفا

* * *

فليرنمّ وليشنف مسمعي
حلك الليل، كذوب الأدمع
نامت الشهب ولما أهجع
ابنة الكرم برفق أضلعي
وانثنى يبكي على الماضي معي
واستبدت بفؤادي الموضع

قيل في العود عزاء يُرتجى
ولتشعشع ابنة العنقود، في
علها تبعث في جفني الكرى
فتلظى القلب لما لثمت
لهتّ العود وأبدى عجزه
عذبتني ذكريات حلوة

* * *
يا ربي لبنان رفقا وارحمي
بعد ما ودعتُ عهداً طيباً
عَصَفَ البين بأحلامي، فلا
جئتُ يا لبنان أنسى ما مضى
وإذا بي زهرةٌ مهجورةٌ
كلما هبتَ عليها نسمة
وابعثي في خافقي نور الهدى
لم يزل في خاطري منه صدى
بسمةٌ رفَّت ولا عودٌ شدا....
فإذا بي قد تناسيتُ غداً
لم تزل تهفو إلى ذوب الندى
أجفلت حيرى وصاحت: بردى

* * *
كفكفِ الدمع فقد هيجت في
وابتسم للزهر وأمرح في الربى
وابعث الآلام شعراً ملهماً
ودعِ الماضي وذكراه، وكنْ
كيف تبكي؟ والمنى معسولةً
أنت في لبنان، في مهد المنى
هدأة الليل النجوم الساهراتُ
بين أنغام المياها الشاديات
في الليالي الهادئات الساحرات
بسمة رياء على ثغر الحياة
رفرفت بين الروابي الزاهرات
فلم الحزن وذرف العبرات؟!

* * *
إن تكن ودعت وادي بردى
فهنا لبنان في روعته

وأحاديث الهوى والصفين
جنة الدنيا وسحر الخافقين

عاليه لبنان ١٩٤٠

عودي

عودي.....
قصيدة من خيال طالب
في مطلع ربيع ١٩٤٠

عودي مع الأطيّار عودي
كادت تذوب حُشاشتي
يا بسمّة الأمل الشرود
وتقطّعت أوتار عودي

* * *
نثر الشباب على جبين الأرض أحلاماً وسحرا

فتململت وتثاءبت
لبست وشاح البدر
فترّمت زمر الطيور
واستيقظت تختال كبرا
واتخذت من الأزهار عطرا
ورفرفت في الجو سكرى

عادت تذيب الحب والإلهام في الأجواء شعرا

عودي مع الأطيّار عودي

راح الشتاء ، وعادت الأنهار تجري في الربيع
رقراقة هدارة ، صدّاحة لو تستطيع
الشهب راحت تستحم بمائها الصافي البديع
والأرض أنعشها البلال ومبسم الشمس الوديع
فتقمّصت ثوب الشبيبة بعد أكفان الصقيع

عودي مع الأنهار عودي

رشفت زهور الحقل من ثغر الصباح لماه رشفا
فترنَّحتُ نشوى ، وداعبها النسيم فكان عزفا
والنرجس الوسنان بين شقائق النعمان أغفى
وتململ الورد الحسود وأفعم الآفاق عَرفا
فالروض في عرس الربيع يفيض إغراءً ولطفا

عودي مع الأزهار عودي

أو تذكيرين الغاب في تلك الليالي الساحرات؟
والبدر يلهو ضاحكاً بين النجوم السافرات

وصدى لحون العندليب وأنسَ مزمار الرعاة
ونضارة الوادي، وأفياء الغصون الباسقات

عادت، فلمْ لا ترجعين وأنت إكسير الحياة؟!....

يا بسمة الأمل الشرود * * *
وتقطعت أوتار عودي عاد الربيع ولمْ تعودي
كادت تذوب حشاشتي * * *

عاليه لبنان ١٩٤٠

العلم العربي

بياض من رايات أمية
وسواد من أعلام بغداد
وحمرة من ثورة العروبة المتوثبة
وخضرة من أمل مقبل.....

اللون الأبيض

علمَ الطهر والثلوج النقيه
رفعتك الشعوب رمز سلام
أنت فينا بقية من فخار
والأزاهير عاطرات نديّه
واشتياق إلى الحياة الرضية
يوم رفرفت في يمين أمية

تحمل الجحفل الخضم إلى النصر ولل سيف غضبة مُضرية

فعلى الأفق من حواشيك نورٌ
فإذا الشرق عزمة ومضاء
وعلى الأرض حلّة سندسيه
وإذا الغرب جنة عربيه

يا شعاراً لدولةٍ تعشق العدل وتهوى العمران والمدنية

خالد أنت في جبين الليالي
ذكر القوم إن تناسوا زماناً
وابعث العزم في الشباب فعارٌ
ناصر اللون أوحداً في البرية
حملوا فيه مشعل العبقرية
أن يهينوا، وأرضهم سورية

اللون الأسود

والمنايا حوّم تحت البنود
علما أسود يُحمى بأُسود
وتهادت بين أنغام و عود
مطلق النهضة يزري بالقيود
مشرق الطلعة جبارَ الجهود
آية الرحمة والعيش الرغيد
ومشت تزهو بأبناء الرشيد
لم نزل نهفو إلى العهد السعيد
زمناً ، يأبي مجارة العبيد

بسواد العين والنقع المجد
رَفَعَتْ بغداد في وثبتها
نعمتُ في ظله آمنَةٌ
عرف الشعر زماناً طيباً
واستفاق العلم من رقدته
ورأى العالم في دولتها
فمضى التاريخ يعتز بها
أيها الخفاق عزاً ، إنا
والذي يحمل نبراس الهدى

اللون الأحمر

شعلة حمراء تسمو في علاها
قبسُ الحرية الكبرى لواها
تغتلي عطشى فلبينا نداها
وأبيّ مات من أجل هواها
ومشى الحتف إليها فطواها
موكب الظل فغابت في ثراها
فتولى السيف تحقيق مناها

رايةً من ثورة الحق سناها
خضبتها بالدماء كلُّ يدٍ
في ربي الصحراء ذرت قرنُها
كم شهيدٍ غيبت طيِّ الثرى
وسيوفٍ أشرقت في ظلها
أمةً آثرتِ النارَ على
لم تنل باللين ما تنشده

* * *

لا تُطيق الذل يسري في حماها
وتعاف النوم مرا مقلتها

راية الأحرار، إنا أمةٌ
في ظلام اللحد تغفو حرةً

من فنون الربيع ألْبست بُردا
أملٌ ينعش النفوس ويُذكي
اللون الأخضر
عاطر النشر مستحِباً مفدّي
في الحنايا عزمًا حمياً ووجدا

كُلُّ ما في الشباب من وثبة الفكر وحب التجديد ثوباً وعهداً
ماثلٌ فيك ، فاخلع القاتم البالي وبدّل بالشوك فلأً ووردا
أرسلِ النور في سما الشرق وهجاً مشرقاً يستبيح غورا ونجدا

فحرامٌ أن يغمر الجهلُ أرضا
واطلب العيش في ظلال المواضي
عرفتها العلوم أما ومهدا
فالمواضي من أجود القول أجدى

والقويُّ القويُّ يسبح في الجو طليقا مستنسراً مستبدا

* * *

كل شعب مشى الخمول إليه
والذي يطلب الحياة أنوفاً
في دياجير مُظلماتٍ تردّي
في طريقٍ وعر المسالك جدّاً

صلخد ١٩٤٠

قلعة صلخد

صلخد.... أو صرخد
قلعة ربضت على مشارف الصحراء
عربية شامخة
هازئة بالعوادي والأعاصير
رغم الدهور.... ورغم التخريب...

رَبَضْتُ بين موحشات البراري معقلاً فوق معقلٍ جبار

بجلال المشيب عاركه الدهرُ وعزم الفتوة الفوار
مثلما يربض الرهيبُ من الأسد ليحمي عرينه والصحاري

* * *

قلعةٌ لا لزخرفٍ شيّدوها أرهقت كاهل الثرى قدماها
بل ليوم مجلجل هدار وتحذت بمنكبيها الدراري

رحبةُ الصدر ضخمة الهيكل الراسي شموخٌ منيعة الأسوار

الدياميس تحتها مظلماتُ مفزعات تشعبت لصعود
مدهشاتٌ تعجّ بالأسرار مضمك أو لبسطة وانحدار
والمنايا تطل خلف كواها في اتقاد ونزوة وازورار
وعليها من الفخار دثارٌ عربيٌّ؛ أنعم به من دثار

* * *

غيرُ الدهر فجرت حقدتها الطامي على المستخفّ بالأدهار
فهي تحبو مجنونةً تملأ السهل دويماً والسفح صيحةً تار
تستحثّ الرعود والبرق والرمل وجيشاً من ثورة الإعصار

كلما افتّر ثغرها لانتصار
أوجعته مرارة الانكسار
فهي، والخيبة المريرة تعرفوها،
تنزّي كليلّة الأظفار

واستعانت بالمعولِ الظالم العاتي، فجاري، وليته لم يجار
أعمل الهدم ناقماً فلو اسطاع لأودي ببهجة الآثار
وانثنى خائر القوى، فجبينُ الصرح عالٍ، ومعصم الصرح عاري

صلخد ١٩٤٢

نداء

دعوتك للجبل الموجه
لهيب الحميا على شفثيه
علي، ضئيل الرجاء، لا يعي
وشبه التوقد في الأضلع

فتي على رغم هول الشحوب العظيم الأمانى والمطمع

يسير، ولكن ويئد الخطى
وتشمخ من حوله الرايات
فيغضي وقد أرهقته الخطوب
يؤاسى بشتى الكلام الرقيق
ويؤمر بالصبر، وهو الصبور
ليلحق بالموكب المسرع
اشتياقا إلى عالم أرفع
وألوت بأنحائه الأربع
ودنياه دانية المصراع
على كأس آلامه المترع

وهل يرتجي العود المشفقون وذوب المشاعر والمدمع

وفي الروح وجد إلى بلسم
وفي الجسم شوق إلى مبضع

* * *

دعوتك للجبل المستحب المرجي لمستقبل مبدع
دعوتك ، والأمل المستطاب يغذي حياتي ويحيا معي

فبادر وإلا فما حيلتي
إذا بوح صوتي ولم أسمع

السويداء ١٩٤٢

لا تلومي

لا تلومي فما ملئتُ كفاحي رغم قهري، ولا رميت سلاحي

دغدغت حلمي السما ، فتململتُ ورفرفتُ في الفضاء المباح
ضارباً في الهواء ملءَ جناحي ، عظيمَ الرجا ، عظيمَ الطماح
النسيم العليل ينعش خدي وكف العلا تؤاسي جراحي

* * *

لا تلومي، فما تركت الفضاء الرحب، حباً بعالم الأشباح
أنا مثل الطيور، يحفظك الله، رفيقُ العلى، رفيقُ الرياح
فإذا ما رأيت من حالق الجوِّ عُقبا ينقضُّ نحو البطاح
فهو إما لمطمحٍ يلمس الأرض وأما لكسرةٍ في الجناح

السويداء ١٩٤١

لست أدري

لست أدرين حبذا لو كنت أدري
قدك الممشوق يا أخت الرباب
أي شيء فيك لا يسبي ويغري..
أم صفاء اللون أم برد الشباب

أم لذاذات الحديث المستطاب

والحيا يرسي على الخد ويجري
أي عطر لم يضمخ راحتك
في قلع من خيوط الفجر حمر
أي سحر لم يفض من مقلتيك؟!

أي خمر لم تجل في شفتيك؟!

عبثاً يطمع في السكره ثغري
كل ما في الكون حلو يا أخيه
وفؤادي مغلق عن كل سكر
كل وجه فيه أسرار خفيه

تغمر الروح بأحلام نديه

غير أني واجد فيك، لعمري
كل آمالي وأحلامي وشعري

ذاك لغز، هل أرى للغز حلاً * * *

فلقد يشفي إذا وُفقتُ غُلا

وَجَم اللبُّ، وصاح القلب كلا

من ترى يدرك غيري كُنّه أمري
لست أدري. حبذا لو كنت أدري

السويداء ١٩٤٠

٦ أيار

لا شِباكاً مَبثوثَةً وحبالاً
مطرباً يُونسِ النفوسِ الثكالى
نصلّه والرّبّي وهذي الرمالا
جسد القوم، هائجاً إشعالا
والشرايين بالدماء حبالى

جرّد السيف إن أردت انتقاماً
إنّ للسيف، يا جمال، رنيناً
وهو إن عانق الرقاب يروّي
أعملِ الفأس والرصاص وأشعل
غايةً الظلم أن تموت الضحايا

السويداء ١٩٤٣

لبنان... مرحى

للبنان مرحى
في ثورته التحررية
على الاستعمار
عام ١٩٤٣

قرّت بها عين الوفا الساهده
في سيرها صاعدةً راشده
وأمة، رغم القضا، واحده
ولا نخيل الواحة الراكده
تسبي، ولا صحراؤها الهاجده
روح الإبا في صدرها خالده

لبنان مرحى، أنها وثبةٌ
جبارةً، عرباء، لا تنثني
أدركتَ فيها أننا سادة
لا الأرز في أطواها خالد
ولا مغاني بعلبك التي
لكنما روح الإبا وحدها

السويداء ١٩٤٣

ذكرينا

ذكرينا....

مقدمة لرواية اليرموك

التي مثلت بحضور

سلطات الانتداب الفرنسي في السويداء

وألقيت فيها هذه القصيدة....

ورخيصة الهوى ورجع الرباب
نملاً الكون بالندى والشباب

ذكرينا، فقد أَلْفنا التصابي
ونسينا أيام كنا أباءً

* * *

يا ضفاف اليرموك مالك أقفرت من الشم والأسود الغضاب؟

يا ضفاف اليرموك مالك أغضيت على غمرة الزمان المحابي

يا ضفاف اليرموك آن لك البعث فميدي وهلي يا رواي

* * *

جباري؟ هل شهدتها وهي ترتج ارتجاج الرعود خلف السحاب

مائجات ، مجلجات الهتافات ، حيارى، محمومة الأعصاب

تحت أقدام أمة تطلب الفتح وجيش مظفر غلاب

ربض الروم فوقها يطلبون الثار حمرة العيون والأنياب

وقبابٍ تمتد خلف قباب
عدد الرمل والحصى والتراب

أثقلوا السفح بالحصون الرواسي
وسلاحٍ مقعقع وجيوش

بين رامٍ ورامح وأخي درع وحر وطامع في نهاب

نزوانا في عزمها الوثاب
راحة الدهر من صليل الحراب

أزمعوا سحق أمة تتنزي
أمةٍ يعربيةٍ جبلتها

وأحاديثٌ مكرماتٍ عذاب
فملاً الكون بالندی والشباب

* * *

ذكرينا تاريخنا وعُلانا
ذكرينا أيام كنا أباءً

السويداء ١٩٤٣

يا بلادي

يا بلادي؟ أنا إن لم أطلب العيش عزيزاً في ربوعك
فالردى أشهى وأولى من هجوعي وهجوعك.....

أيُّ شيء فيك يرضى ما رضينا.....
ويلاقي صولة الجور ذليلاً مستكيناً.....
ويطيق الأسر والإرهاق والقيد سنينا؟!.....

* * *
أنفت هذي الروابي الشم أن ترضى الهوانا
فتسامت في الفضاء الرحب تُذكي العنفوانا
لم تُمكن من ذرى هاماتها شعبا سوانا

* * *
والبراري تسرح الغزلان فيها والظباء
ويرف الطير نشوان ويلهو ما يشاء
أسكرته النسمة البكر وأغرته السماء

* * *
والأزاهير كساها الطل سحراً وجمالاً
فتشتت تملأ الوادي عبيراً ودلالاً.....
وجرى النهر على أقدامها عذبا زلالاً..

* * *
كلُّ ما في أرضنا يأنف أسرا
ويريد العيش في دنياه حراً
فلماذا نقبل الضيم وطعم العيش مرا؟!
يا بلادي؛ لن تكون الطير والغزلان أسمى من بنيك
سنلاقي الموت أو نحيا أباة الضيم فيك
يا بلادي

تحية لبنان

تحية لبنان.....

في ثورته الاستقلالية ١٩٤٣
هذه الثورة التي اندفع لتأييدها
أكثر ما اندفع من السويداء
طلاب المدارس والشباب ..
الذين قاموا بالمظاهرات الصاخبة الثورية.....

وهوى يحق بمثله الفخر
أقدامه وتمرغ الدهر
أن الطريق مصعدٌ وعر
مدٌ، ويكبح بعضه الجزر
تشكو، وبين ضلوعها جمر
دررٌ ومن مهجاتها تبر

لك يا ربوع تحيةً بكرٌ
يا معقلاً ربَّضَ الجلال على
طمعتُ بك الدنيا، وما علمت
وتدافعت موجاً يجيء به
فتحطمت مقهورةً ومضت
فعلى سفوحك من مدامعها

* * *

ورؤى معطرةً اللمي خضر
وهفا لمثل أريجها الزهر
فبدت وحول جبينها فجر
وتعود بعد الهجر تفتّر

لبنان، والآلام تجمعنا
وصنائعُ بيضُ تعشّقها
ودمٌ تعصبت العصورُ به
يُرضي العروبةً ما بذلت لها

* * *

عنا، وليس مثلنا عذر
وسيوفهم رعافة حمر
أكبادهم مكلومة مروا
أسماعهم وقلوبهم وقر
إمّا دعوت حجارة سمر
والشامتون بسعيهم كثر
لبنى أبيه ويغضب الحر

وأضاع بعض روائه الأسر
جنباته أيامه الغر

لبنان جئتُ بنيك معذراً
هم للسيادة والحياة مشوا
هبوا إلى استقلالهم، وعلى
وبنو البراكين الغواضب، في
فكانهم لولا فراخهم
زغب الحواصل لو رأيتهم
لرأيت كيف يكرُّ منتقماً

جبلي، وإن عبث الزمان به
سيظل منتصبا ترفاً على

* * *

السويداء ١٩٤٣

أخاف

أخافُ، أخاف أن يخبو
وقد أمسى رمادُ اليأس
فأذوي، مثلما يذوي
فلا الجوزاء تغريه

لهيبُ العزم في صدري
أكُواماً على جمري
ربيبُ الجو في الأسر
ولا أنشودة الفجر

* * *
أخاف، أخاف أن يمشي على غير الهدى، قلبي
وأن يحيا لغير الصدق والإيثار والحب
وان يهجرنى أنسي ولين المنطق العذب
فأمضي حائراً أسلك درباً لم يكن دربي!....

* * *
رفيقي، لا تلمني إن رأيت مخاوفي شعرا
وإني بالذي ينتاب نفسي، يا أخي، أدرى
وإني إن ضمنت القلب، والهمة، والفكرا
أخاف، أخاف ألا أضمن الأيام والدهرا

السويداء ١٩٤٤

حنين

حنين.
إلى واحة النبك
في صحراء نجد
التي لجأ إليها قادة الثورة السورية
لعام ١٩٢٥ - ١٩٢٧
والتي عاش فيها الشاعر
طفلاً، بلا مئزر. . . أشعث . . .
حنين إلى واحة في صميم القفار
انتصب حولها خيام المجاهدين
الذين آثروا الحرية والحرمان . . .

وبسمة أجوائها الصافية
وأنشودة القمح والساقية
يحن إلى بقعة نائية
معفرة المنحنى خاليه

نعم، أنا أحببت هذي الربوعَ
وأحببت فيها عبيرَ الزهور
ولكن لي خافقاً لم يزل
إلى واحةٍ في صميم القفار

* * *
رُبِّي النبك! هل تذكرين الخيام لديك مبعثرةً جاثيةً؟!

وتصفعها ريحك السافيه
رهيب، بسمرتة القاسيه
وأن يستبدّ به الطاغيه

تحاول شمسك إحراقها
وقوماً عرينُهُم شامخُ
أبوا أن يروهُ لغير العلى

فخلوه مخرّوضبَ الجانبين وأحشاء رواده داميه

من القيد أو ظلّه عاريه

أتوك ويا حبذا واحةً

وطفلاً سباه جلالُ القفار وأفياؤها في المسا ضافيه

يروح ويغدو مع الماشية
اشتياقاً، إلى خلوة هاديه
وأغنامهُ ترتعي ثاغيه
مخلّعة الوزن والقافيه

صغيراً، بلا مئزرٍ أشعثاً
رعاهاً، ليُشبعَ في نفسه
يردد ما جال في رأسه
فتصغي الصحارى لأنشودةٍ

* * *

معفرة المنحنى خاليه
وأرسلتها زفرةً كاويه

نعم، لو رَجَعْتُ إلى واحةٍ
لقبَلْتُها قبة العاشقين

تذوّب في حرّها الذكرياتِ وتشفي حنيني إلى الباديه

السويداء ١٩٤٤

يومك اليوم

الشيخ صالح العلي
من جبال اللاذقية
أول ثائر على الاستعمار الفرنسي
وأول حلقة من حلقات
تلك الثورات المستمرة
التي كان فجرها
الجلء والحرية والوحدة
وفي هذه القصيدة
التفاته إلى دمشق بنت قاسيون
لتمسح الجراح التي خلفها الاستعمار
جراح التفرقة وزرع الشر ... والإهمال
ألقى في حفل تكريم «الشيخ صالح العلي» باللاذقية

وانتفض يا سهلُ زهوا وافتتانا
من مغانينا تحياتِ حسانا
أنت أسمى لو تكلمت بيانا....

يومك اليومُ فميدي يا ربانا
واحملها يا نسيماَتِ الصبا
أنتِ أذكي لو تنفستِ شداً

* * *

لم يزدها العنف إلا عنفوانا
سدّدت أنوارهُ الحمُرُ خطانا
ناره لم تلق إلا ثوراناً
تملاً الجو لهيباً ودخانا
وتركنا نتف القيد ورانا
وصعابٍ لم يذلها سوانا

يا زعيمي يا بنَ سوريا التي
أنت في هوج الليالي قبَسُ
والأعاصير التي هبت على
فانثنت مذعورةً من غصبة
ومشينا قُدماً في ضوئه
في طريقٍ صاعدٍ مخضوب

* * *

غفر الله لمن أغرى الزمانا
تغتلي تحت لوهم ولوانا
وتلاقي باسم الثغر فتانا
ولبؤات غضوبات نسانا
ونرويهها، كراماً من دمانا
والجيات الضمر غرثي تتواني
تقحم الموت وتأبي أن تهانا
مثلما يذري الوريقات شتانا

يا زعيمي، لست أشكو زمني
يوم كنا والمنايا حوّم
فتلاقي شيخنا متقدا
وتلاقي أسداً أشبالنا
نشبع الحومة من أشلائنا
ما تركنا السيف إلا مقبضاً
وجيوشاً حطمتها عصبه
نثرتها فوق أعطاف الثرى

* * *

لم ينل إلا اعتسافاً وامتهانا
صافحت فيها يد الشام يدانا
ورأى فيها جناحاً وجنانا
ومضى يطلب في الجو مكانا

يا زعيمي، وطن العرب الذي
أنعشته بعد يأس ساعة
فراى فينا حساماً صادقاً
فتمطى مراً مستنساً

* * *

فاسمعي صوت نداها وندانا
واغمري السفح اخضراراً وحنانا
وامسحي الجرح المدمى يا رجانا
فرماها بالرزايا ورمانا
وأعزّ العبد فيها والجبانا
خصمنا في نصره الحق أخانا

بنت قاسيون، ربانا تشتكي
إنها عطشى فكوني غيثها
إنها كلى فكوني بلسماً
غضب الدهر عليها زمناً
شردّ الأحرار عن آجامها
ورعى الشر فكدنا أن نرى

* * *

فلقد عشنا نلبي من دعانا

بنت قاسيون أجيبى صوتنا

جبلانا حصنك الراسي، وما أرهق الرواد إلا جبلانا

الصفحة الأخيرة

يا صديقي، هذه الصفحة أطويها فأطوي بعض عمري
وأخبي في زواياها شاباً كان يغري
مر عجلان، على حلوٍ من العيش ومر

* * *
لم يَخْلَفْ غيرَ ما أملاه رُوحِي وفؤادي
غَضَبَاتٍ لبني قومي وتيهياً ببلادي
واشتياًقاً لبواديهها و سمارِ النوادي

* * *
وإذا مال على أوتار أحلامي وحيي
وتغنى بأناشيد الربيع المستحب
فهي من ترديد أنفاسي ومن دقات قلبي

يا صديقي

السويداء ١٩٤٥

غضبة

نبني ونهدم أعراشاً وتيجانا
والجوُّ مملؤه ناراً وعقبانا
ومزقت وطنَ الأحرار أوطانا
وأن تصير أسود الغاب غزلانا
ونُشبعُ الأرض من أشلاء قتلانا
نبني ونهدم أعراشاً وتيجانا

أينكرون بأننا لم نزل عرباً
وأننا مملأ الآفاق حمحمةً
جار الزمان وأدمتنا برائنه
وحاول الدهر أن نرضى بذلتنا
واليومَ عدنا نروِّي السفح من دمنا
حتى يرى الكون أنا لم نزل عرباً

١٩٤٥

قبل النكبة

فلسطين كانت وظلت لنا
عبيرُ النبوة في تربها
وتبقى لأحفادنا مرتعا
يعطر أجواءنا مشبعا

وأمجدُ ما في تراث العصور تخير في أرضها مضجعا

ستحيا بنا حرةً لا تضام
وأقدس ما في الدني موضعا

وإلا فنورثها الناعقات ونتركها بعدنا بلقعا

١٩٤٥

الحدود المحطمة

الحدود المحطمة...
حدود أقامها الاستعمار
بين الجبل ودمشق
فحطمتها الحركات التحررية
في عام ١٩٤٥
بعد أن ظلت حراب المستعمرين
تحرسها طوال ربع قرن....

اليوم، نفتتح الطريقَ فلا هجوعَ ولا رجوع

* * *
اليوم، لا حدُّ يحاول أن يصدِّ ولا قيودُ
سقطت مهشمة تحاول أن تعود ولن تعود
لتظل أمتنا موحدة العزائم والجهود

اليوم نفتتح الطريق

نمشي على أشلائنا ودم الضحايا الأبرياء

وجماجم الأحرار والأسد الكماة الأوفياء
من خضبوا السفح الرهيب وعطَّروا كبد السماء

اليوم نفتتح الطريق

وغداً سنمشي أمةً عرباء رائدها النظام
والتضحيات، وهممة شماء تأتي أن تضام
ونسير بالعهد الجديد ، إلى الأمام ، إلى الأمام

اليوم نفتتح الطريق

السويداء ١٩٤٥

البلبل

البلبل هو الشاعر
والغاية بلده
والرياح، ربح السيطرة الأجنبية....
التي تحولت إلى إعصار في عام ١٩٤٥

الرياح تعوي في الرواي العاريات وتعصفُ
والغاب مرتعد يضج من السياط ويرجف
والليلة الهوجاء عابسة تئن وتصرف
والبلبل الحيران في قيد المخاوف يرسف
متجمّع، قلق، يفيض مرارة لا توصف
المخلب الدامي يطارده ولا يستنكف
والافعون يطل في نهم عليه ويزحف

* * *
يا بلبلي! أتظنّ مضطربَ الرؤى تتقفقّف؟!
تهفو إلى وطنٍ يظلك فيه غصن مورف
أردانه ريانةً والريحُ رطبٌ زفzf
والطير بين الورد والعشب النضير ترفرف
في مأمّن، أذنّ الخمائلِ والسماء تشنّف

* * *
فإذا نأيت، فمن على الغاب المعذب يعطف
من ذا لدى الكرب الملمّ يثور أو يستعطف
من ذا يمهد للربيع المستحب ويهتف

* * *
يا طير دع أمل الفرار فبعض صبرك أشرف
واعزف فمثلك من اذا وجم الصوادح يعزف

من دمانا...

في ٢٩ أيار ١٩٤٥
نشطت الثورة التحريرية
ضد الاستعمار الفرنسي
في دمشق وفي كل مكان في الإقليم
السوري...
وكان قائد الجيش الفرنسي يشرب...
ويأمر بضرب المدينة
بالبطارات والمدفعية
ويأمر باقتحام المستشفيات
والمتاجر والمعابد
ويأمر بتهديم المجلس النيابي
على من فيه من حاميه
فبيحه وبيح المدينة
وينسى أنه لم يلق هنا غير الشفقة
بعد أن هزمته ألمانيا وداست كبرياءه
وثار سوريا كلها على الطغاة
فهزمتهم في كل مكان...
وكان أبرز انتصار في هذه المعركة
انتصار السويداء
التي أسرت الحامية الفرنسية فيها
في حركة انقلاب رائعة
فقدت، وعفت
وتناست ما جره الانتداب عليها
من كوارث ومذابح
فكانت أروع مثل عربي
في الشجاعة وكرم الأخلاق...

من دمانا، أيها السفّاح، من دمع اليتامى والأيامى

أترع الكأس مُداما

وأدرها بين أشلاء الضحايا واستغاثاتِ الثكالي والسبايا
وزئير المدفع الطاعي وأنات الشظايا أترع الكاس وناولها الندامي

من دمانا، أيها السفاح، من دمع اليتامى والأيامى.....

أمطر الشام حديداً ولهيباً واستبح فيها هلالاً وصليباً

واذبح المرضى، ولا تخش عدولاً أو رقيباً

عذب الأسرى ونكّل ما تشاء وإذا الرعب تولاك، وأضناك العياء

من دمانا، أيها السفاح ، من دمع اليتامى والأيامى

أترع الكأس مداماً

أرسل العبدان تُصلِ الناس ناراً وتحوّل جنة الدنيا يباباً ودماراً

وتقتل كل من تلقى: شيوخاً وعدارى

لهم المتجر والمحراب، والقبة حلّ وإذا كلّوا من التدمير والسلب وملوا

أترع الكأس وناولها الندامي

من دمانا، أيها السفاح، من دمع اليتامى والأيامى

أيّ ذنب كان منّا؟! أي شرّ عدت منهوكا فأويناك من حر وقرّ

وتناسينا نداء الثأر، والأيام تُغري

فكسوناك وأطعمناك خبز الفقراء وطلبت الماء عطشان، بذلٍ ورجاء

فسقيناك مداماً، من دمانا، أيها السفاح، من دمع اليتامى والأيامى

وقدرنا، فعفونا وحمينا ورحمنا دمة الأسرى ولم نستوف دينا

وتغاضينا عن الماضي وما جرّ علينا

من عذاب واضطهاد وأسار ... وافتراش الرمل والأشواك في عرض الصحاري

ودّع الشام كما جئت، بشرّ مستطير

بين أنات الضحايا والزفير

وإذا خفتَ الظما غبّ المسير

من دمانا، أيها السفاح، من دمع اليتامى والأيامى

أترع الكأس مداماً

فلقد عشنا كراماً، وسبقى أبَد الدهر كراما

السويداء ١٩٤٥

في ذمة الله

عادل النكدي
شاب من بلدة عيبة، لبنان
ترك جامعته في لوزان (سويسرا)
ليلتحق بالثورة السورية
جندياً من جنودها
وشهيداً من شهدائها
دفن في غوطة دمشق
ثم نقلت رفاتة إلى مسقط رأسه...
في احتفال مهيب....

لي مثل ما لك، أعمام وإخوان

في حومة الحق ما ذلوا وما لانوا

ضجوا من القيد، بعد القيد ، يُحكمه

معربد، من خمور (السين) نشوان

فاستنصروا البيض والجرد العتاق، فما

هانت على جيشه الطاغي وما هانوا

أكرم بها ثورة، دوت مجلجلة

كما تفجّر في الظلماء بركان

خاضوا لظاها، وللنيران زمجرة

والموت مُنهرت الشدقين، حرّان

في ذمة الله، من صانوا كرامتنا

إمّا أُسْتَفِرَّتْ، ومن قربانها كانوا

فلا تغالب دموعاً، كلما ظفرتُ

محمومةً، صدّها كِبْرٌ وسلطان

فلمستَ أولَ من يبكي مهنده

وكلنا كبد حرى وأشجان

* * *

يا قبرُ، لم تك منسياً، فلا عتبُ

ولم يزر مهجة المحزون سلوان

ما أنت ناءٍ ولا الذكرى ببارحةٍ

ولا رفاق فتاك النجد خرسان

لكن شعور بذل النير أرهقنا

وأسكتت شاديّاتِ الروض غربان

لولا العزائم والآمال، ما حمَلتُ

أرواحها، في الكفاح المر، أبدان

والحرُّ أمّا شريداً، حائر قلق

طاوي الحشا ، عرم الأشواق ظمآن

أو قابع في زوايا السجن، مرتعش

تحفه أعبد بيض وعبدان

عهد، إذا مر في الأحلام أرقني

فكيف أبعثه، والجفن يقظان!؟

* * *

هذي الوديعة، يا لبنان، نُرجعها

وقد طوتها إرادات وأزمان

هذي بقايا فتى ما غره ترفٌ

ولا ثنته عن الصحراء (لوزان)

لما رأى ساحة الهيجاء لاهبةً

وأنت عنها مشيح الوجه، حيران

خلّاك، واصطحب الهنديّ ملتفعا

ببردة نسجها عزم وإيمان

واستقبل اللجج الحمراء مزبدةً

تُرمَى به الغوطة الكبرى وحواران

يمدّها من غزاة الجو منسكب

خيوطه حمم سود ونيران

ما زال يمعن خوضاً في معامعها

حتى قضى، ونجاد السيف ريان

وخلفه ذكريات كلما بعدتْ

شعّت، وعطّرها شوق وعرفان

* * *

عادت إليك بقايا ثائر بطل

فاهناً، بهذا التراث الضخم، لبنان

ما أنت أولى به منا، وإن كرّمت

منك السفوح، وطابت فيك شطآن

لكننا، وبلاد العُرب واحدة

في خدمة المجد، إخوان وجيران

السويداء ١٩٤٥

إلى ابنتي

يابنتي؟ فتحت عينيك على دنيا ضياءٍ وحنانٍ

وأناشيدٍ حسان،

فتطلعتِ كئيباً، وبكيتِ . . .

وهبوكِ الشدي ريان شهياً، فأبيت

فلماذا يا بنتي جئتِ حزينة

عالمًا لا تعرفينه؟؟...

لا نيوبُ الدهر آذتك، ولا أعوانُ دهرك

وطيوفِ الهمِّ لما تتلملمُ فوق صدرك ...

بيئنا جرّبت أن يبدوَ في أحسن زينه

في بياض الياسمينه

وفؤادي كان جذلانَ لمراك، طروباً

لا عبوساً أو غضوباً . . .

فلماذا يا بنتي جئتِ حزينه

عالمًا لا تعرفينه؟؟

أيّ درب سلكِ الدمع إليكِ

فارقي في مقلتيك

بكرّ الهمِّ عليكِ . . .

إنْ تكوني، مثلما قلن ، لأصحاب مشوقه

لصديق

أو صديقه . . .

أو تكوني مثلما قلتُ: «صدي نفسي الحقيقي»

أدرّكتُ نفسي لماذا يا بنتي جئتِ حزينه

عالمًا لا تعرفينه . . .

السويداء ١٩٤٦

لا . . . لن أفرّ

لا لن أفر من الجبال السمر والسفح الجديد
وملاعب الجرد العتاق وكلّ سباقٍ نجيب
فلقد رميت عصاي في بلد إلى قلبي حبيب
مغنى ومنبتِ عصبه عرباء صافية الحليب

* * *

طوّفتُ في الصحراء تواقًا إلى أفقٍ رحيب
خُلُو من القيد البغيض وأنة الحق السليب
فعرفت في أرجائها طيبًا يفاخر كل طيب
سُعفُ النخيل تمجه نشوى، وأعطاف الكثيب
من نفحة الماضي البعيد شذاه والماضي القريب . . .
وقضيت في ظل الصنوبر زهرة العيش الرطيب
عهدَ الشباب الطلق والأحلام والأمل الخصب
بين الجبال الشامخات البيض والموج اللعوب . . .
وعشقتُ في الفيحاء، والفيحاء أسرة القلوب
بردى يُصَفَّق بالرحيق السلسبيل وبالطيوب
والربوتين، وغوطة سمحاء في ثوب قشيب
والذكريات الكامنات بسُدّة المملك الخضيب

* * *

لم يروني بردى ولا الصحراء حدّت من وجيبي
وظللت رغم السحر في ظل الصنوبر كالغريب
حتى رجعتُ إلى الجبال السمر والسفح الجديد
وملاعب الجرد العتاق وكل سباقٍ نجيب
أيقنت أني قد رضيت فلن أثور على نصيبي

مرحباً وأهلاً

الأمير عادل أرسلان
أمير السيف والقلم
علم من أعلام الثورة السورية
ومن أبرز رجالات العرب
في التاريخ الحديث
عاد إلى الوطن عام ١٩٤٦
بعد أن أجلي عنه آخر جندي أجنبي
ويروي له الشاعر
وهو الطفل الذي رافقه في منفاه في الصحراء
ثورة لبنان التحريرية
وقصة استقلاله
وثورة دمشق الدامية...
ويشكو إليه
شوقه إلى الماء والنور والخضرة
وتخوفه من تنامي قادة الاستقلال الحديث
لذلك الجبل المجاهد...

لا تقل : جالبُ لبغداد تمّرا
أفلتتها الضلوع غبّ اعتراك
مرحبا أيها المضمخ بالمجد
خدره، كل بقعة تنبت العزّ
منّ إذا ثارت الخطوب على الشرق
نتحدى به الزمان ، فيبدو
زفرةٌ تلك من فؤادي حرّى
فاستحالت على لساني شعرا
وأهلا بضيغم ظل حرا
وترعاه أخضراً مشمخرا
وألقته حائراً مكفهرها
في جبين الحوالك السود فجرا

لن أغنيّ أيامك البيض، والتاريخ أولى بأن يُشيد وأحرى
غير أني، والزهو يملأ جنبيّ أغني عهداً جديداً أغراً

يوم رامّ الطغاة لبنان داراً
فإذا غضبةً من الحق مثلى
ومقرأً لكيدهم وممرّاً
وإذا وثبةً إلى السيف كبرى

زلزلت بآبن عمك البطل ، الأرض فأرغى مزمجراً مزبئراً
كم تمناك قربه تملأ الوادي زئيراً ، والسفح ناراً وجمراً
تخضب السيف ، تُشبع الطير تُعلي راية من دم الطواغيث حمراً
رفرفت حرّة وتبقى على الدهر شعاراً يذكي الحُقود، وذكرى... .

واستفزوا مرابض الشام حتى خنق الضيمُ في الجوانح صبراً
وحملنا الإبا مجنّاً، فهاجوا يملأون الرحاب عارا وغدرا

هدّموا ، أحرقوا ، استباحوا بيوت الله كانوا من (أعرج) الأمس شرا

وفرعنا لوا الجهاد خضيباً ومشيئا يسابق الشيخ حَبْراً
وانبرى في ذرا السويدا ابنُ حرا فارساً في المعامع السود مرّاً

حوله عُصبة كعهديك بالقوم إذا الصارم الرهيف تعرّى...
جولةً مثل ومضة البرق، جعلناها فعادوا في قبضة الحق أسرى

وطردناهمُ برفق ، فكنا أثبت الناس ، أحلم الناس طرّاً

* * *
أيها العائد المضمخ بالمدجد أخاف العتاب إن قلت جهراً
أننا في الشوامخ السمر ما زلنا عطاشا والسفح ما زال قفراً
مجدباً من معالم النور والعمران خصبا لو زاره الغيث بكرا
فكأنّ النداء يلقي إذا صوّت في مسمع القيادة وقرا

لا تلمني إذا شكوت فيني صرت أخشى الذهول أن يستمرا

لا تلمني إذا شكوت فقد ضقت بما تضرر الجوانح صدرا
بُحّ صوتي وأنت بالبلسم الشافي وبالمكرمات أولى وأدرى

السويداء ١٩٤٦

أخي

حمل ميخائيل نعيمه معوله
بعد الحرب العالمية الأولى، ونادى أخاه
ليدفن الأحياء من بني قومه
بعد الأموات.
وفي عيد الجلاء
ذكرت أخي الشهيد
ورفاقه
الذين كانوا لهذا اليوم
يوم الجلاء
قربانا. . .

أخي، هذا لوانا، اليومَ في أوج السما حرُّ
خفوقُ، حوله الآمال والأحلام تفتتُ
فقد شئناه للعزة، والإيمان عنواننا

وكان الحق يرعاه

فرفّ على جبين الشمس، بعد اليأس نشوانا

* * *
أخي، ثرتم على الأرهاق والطغيان والتهيه
فكانت وثبةً دوى لها الكون وما فيه
وراح المجد، مزهواً يسطر في حواشيه
هنا، في جنة الفيحاء، وفي أرجاء حوراننا

وحول شواطئ العاصي

ربوع لم تزل للسبق والعزة ميدانا

* * *
أخي، ما صانهم نصرٌ، وروح الشعب لا يُغلبُ
ولم ينفعهمُ عسفٌ ولين الحوّل القلّب
فإننا لا نطيق العيش والنسمة عبدانا

فعافوا أرضنا قهرا

وذاقوا ذلة الخيبة أشكالا وألوانا

* * *
أخي، إن كان هذا العيد، عيداً صاخبا بكرا
وقومي من رحيق الفوز باستقلالهم سكري
فلن أعزف ألحاني، ولو هاجتني الذكرى
ولكنني سأمضي ”بفؤاد خاشع دام“
أمجد ذكر من كانوا لهذا اليوم قربانا

السويداء ١٩٤٧

المنارة الهاوية

في رثاء الأمير شكيب أرسلان

أحاذرُ ميدان الرثا وأجانبهُ

وأوثر أن أبقى بعيداً أراقبه

وما ذاك أني صخرة لا تهزني

جنازة بدر شيعته كواكبه

ولي خافق من رقة الحلم نسجه

تذوبُ، إذا ناح الحمام، جوانبه

ولكنني أخشى وصية (حافظِ)

بأن المراثي نصف ما هو كاتبه

طلبتُ القوافي، فالقوافي شرودةٌ

وقد خرّ من كانت خفافاً تواكبه

ولذت بأذيال البيان فصديني

وقد وجمت بعد الامير كتائبه

قضى من تحدّى الدهر دهرأ فما انثنى

ولا هادنته أو تراخت نوابه

سعى طالبا حق الحياة لقومه

وموجُ المنايا دون ما هو طالبه

فما راعه جهل مقيم، وذلةً

تردّت بها واحاته وسبابه

ولا الغل في الأفواه والكفّ محكما

مشاركه تعنو له ومغاربه

فكان بوجه الطامعين غضنفرا

هصورا ثقيل الوقع مُد طرّ شاربه

ينازلهم في أرضهم بعد أرضه

وحيدا فما لانوا وما لان جانبه

فما انفك حتى حصص الحق وانبرت

زلالا، لأقوام عطاش مشاربه

فضج له الكون الفسيح وأكبرت

اعاجمه صولاته وأعاربه

فكان عظيما والشباب رداؤه

وأعظمَ بأسا، واللجين ذوائبه

غذا الشرق فيضا من سماء بيانه

فلاحت منارا للسراة مناقبه

وما بخلت بعد الأمير رفاته

فغذاه جسم واجب الروح غائبه

فنام قرير العين في ظل موطن

تقلص عنه نيره وأجانبه

* * *

عليك سلام الله يا من بفقده

فقدنا حساما لا تفل مضاربه

هوى مثلما تهوي المنارة فارتدى

عليه السواد الأفق واغبر جانبه

فلا بسمة رفت على ثغر حاسد

ولا افتتر قال أو عدو يجانبه

فقد وجفت أكبادهم حين لفهم

خضم من الديجور جاشت غواربه

فكان سواءً يوم نعيك معجب

موالٍ، وخصم لا تكل عقاربه

دموع مريرات وقلب مجرّح

وحسرة نسر فارقته مخالبه

السويداء ١٩٤٧

أغنية أمّ

في خيمة بائسة مظلمة
من خيام العرب الذين شردوا من فلسطين
كانت الأم تهدهد طفلها الذي كان يصرخ
من الجوع والبرد
وعلى شرفة القصر
المطل على الخيام
كانت حفلة ساهرة....
وأقداح

في حِضْنِي الدافي
جفن الظما الغافي
نم يا حبيبي نم

نم يا حبيبي نم
بالماء قد يحلم
والجرح بالبلسم

* * *

يغفو على الأضلاع
قلب كقلبي ضاع
نم يا حبيبي نم

دع رأسك الحيران
لن يقلق الوسنان
بين الأسى والهم

* * *

ثديي غدا خرقه
في ضمّه حرقه
نم يا حبيبي نم

جوعان؟ ما ذنبي
أحسست يا حبيبي
وقسوة العلقم

* * *

فالجأ إلى صدري
جمرا على جمري
نم يا حبيبي نم

بردان؟ صدري نار
زادت يد الأقدار
في خافق مفعم

* * *

ضجوا مع اللحن
أزعجتهم يابني
نم يا حبيبي نم

الحي في أفراح
والعود والأقداح
وأنت لا تعلم

* * *

بالنوح والزفرة
فالجار في سكره
نم يا حبيبي نم

لا تُقلقِ السمارُ
واحفظ حقوق الجار
لا يذكر المأتم

بيروت ١٩٤٨

بعد النكبة

هنيئاً لمن أغمض المقلتين
على جرحه الدافق الطاهر
ومرّ سعيداً فلم ينتظر
ليلقى جراحاً بغير دماء
ونزعا وثيداً بلا آخر
ووجها يحاول أن يستتر
ولو بالتراب، فيأبى التراب
ويُعرض إعراضة الساخر

* * *
وكانت لنا نشوةٌ لا تحدُّ
يهددها القَدْحُ المترعُ
ويرقص بين يديها الرجاء
وجاشت ولّجت بنا الكبرياءُ
وغنى لها السيف والمدفعُ

* * *
وكانت جباه تحكّ السماء
ويوم كيوم النشور استفاقت
وثارت به الأنفس الهجُعُ
وكنا نلاقي لقاء العروس
مواكبَ أخوتنا الداميهُ
وحتى النساء أبيضن العويل
وفرت دموع فكفكفنها
وأخفين حرقتها الكاويه. . .
وكان اعتزاز وحلم جميل

* * *

ومرّ الزمان مرور السحاب
على روضة الأمل الزاهر
ولما انتبهنا عرانا الذهول
وكنا نظن بأنا بشرُ
وإذ بالجموع قطيع يساق
وخلف الرعاة رعاة الرعاة
وبين العصي عصي أُخْرُ
واذ بالدماء جزافا تراق
على مذبح الطمع الأشعبي
وأقدام أوثانه والصورُ
ولاح الرجاء خضيباً يئن
يحرّر خُطواته مثقلاً
ومالت جباه وأغضت مقل
فهل عاد ذاك الزمان الرهيب
يعد لنا الرفش والمعولا
لنمضي ندوس بقايا الأمل
فنترك من مات نهب النسور
وندفن أحياءنا أولاً...^(١)

* * *
ولكن أحسُّ ارتجاف الضميرُ
وشبه اشتياق لأن ينفجرُ
ويبعث من جانبيه الحممُ
ليدفن تحت اللهب العصي
وأذيال ليلٍ طويلٍ قَدْرُ
ويسمع من راح يشكو الصمّم...
ويمشي القطيع ولكن قطيعا
من الضاريات ذوات الظفرُ

هتف النصر

لبناة المجد منا

هتف النصر وغنى

للألى كانوا بكف الحق سيفاً ومجنّاً

وتلفتنا إلى الماضي البعيدِ

فإذا التاريخ من صنع الجدود

يملاً الدنيا بآيات الخلود

وتلفتنا إلى الماضي القريب المستباح

فإذا الأشبال تمضي من كفاح لكفاح

وتمنى العزّ

وأراد الله قُواماً على الحق فكنا

هلي يا أم إن دوى النفيرُ

وتعالى في حمى الشام الزئير

وانبرى في جوها الرحب النسور

وابشري إذ ملاً البحر دويّاً ودخاناً

ونعليّ مشرقّ الطلعة خفاقاً لوانا

واسألي تاريخنا الفواح يوم الروع عنا

كم بنينا للهدى والعدل أمجاداً وُصنا...

* * *

وافرحي يا أمتي وارتقبي
مبعث النور بأرض العرب
وانتزع الحرم المغتصب

ضرب النصر لنا بين رباه الموعدا
فوئبنا نأخذ الثأر لمن كانوا الفدى...

السويداء ١٩٥٢

أبو رمانه

شارع الأثرياء

الذين خلقتهم الحرب العالمية الأولى

أبي قلت: "علاء الدين" أسطورة قصاص
فهل هذي القصور البيض، يا ربي، أساطير؟!
أما كنا هنا أمس، وكانت ملعباً قفراً
وغاباتٍ من الصبار يُبدي شوكتها الشرا؟
يخاف النهر مرآها فيلوي خائفاً يجري...

* * *

ذكرتِ الأمس يا بنتي فماذا كان في أمس؟
أما عضك ناب الجوع - والحرمان واليأس؟
فبعنا ما تبقى من طيور القن للجار
،ومسحتُ الدموعَ الحمر في عينيك يا بنتي،
لأننا لم نعد نلقى لنا في بيتنا حباً.
أما أدمت سياطُ الريح وردَ الخد، والبردُ
وعاد المعطف البالي على جنبك ينقدّ
فأشعلنا لك الموقد من كراس أشعاري
ومن أخشاب صندوق، تلاشت خلفه ذكرى
من الماضي ورثناها كما ينتثر العطر...

* * *

ذَكَرَتِ الأَمْسِ يا بِنْتِي فَمَاذَا كانَ في أَمْسِ؟
ألم تَهْدِمِ لذيذَ الحَلْمِ في جَفْنِيكَ ضَوْضَاءُ؟
وفَوْضَى من رِجالِ الحَيِّ والنَّسوانِ، هُوَ جَاءُ
على أَعْتابِ خَبَّازِ، صَفِيقِ الوِجْهِ صَخَّابِ
وفي أَعْقَابِ بَرْمِيلِ، أَذْلاءَ تَبْعِنَاهُ
وللشَرطِيِّ تَجْذِيفِ ولِلحَوْذِيِّ ارْغَاءِ
وبي عَن رِنَةِ الأَجْراسِ في المَعْهَدِ اغْضَاءِ...

* * *
ذَكَرَتِ الأَمْسِ يا بِنْتِي فَمَاذَا كانَ في أَمْسِ؟
جِراحاتٌ وَأَشْلاءُ وَعَهْدٌ قاتِمٌ مرٌّ
وخَلْفِ الظَلْمَةِ الخِرساءِ طيفُ المَوْتِ يَجْتَرُ
وكنا في ظلالِ الخَوْفِ نَبِيٍّ من بَقاياها
ومن أَكْبادِنا، هَذي القِصُورِ البِيضِ لِلناسِ
ومن عَريكَ يا بِنْتِي فَرشَناها لَهم خَزًّا
ومن عَينِ جَفاها النُومِ أنواراً زَرعَناها

* * *
نعم، هَذي القِصُورِ من أَكْبادِنا تُبْنى
فلن تَبقى كما كنا عبيدِ الذلِّ والجُوعِ

دمشق ١٩٥٣

يأس ورجاء

مهداة إلى المناضل اللوأي عادل شعبان
في حماه مدينة النواعير الخرساء.....

يا جار باكية تنوحُ خرسا تؤرقها الجروح

يلهو بها العاصي فيُرهبها التثاقل والجموح
وتئن بالشكوى فتترجف الخمائل والسفوح

ترجو غداً ، فإذا غد
الشمس خلف حجابها ،
كالأمس مغبراً يلوح
والليل مئزره مسوح

والورد ان يفتّر في الشيطان مبسمه الصبوح
فألزهر ينثر للعروس وقد يرش به الذبيح...

والطير إن ينشد بها فلعلّه مثلي جريح

يشدو ليطفئ ما تؤجج في مآقيه القروح

* * *

يا جار نائحة على أختٍ سبأها المستبيح^{(١)٢}

في الشاطئ الرجراج حيث تضرج الحق الصريح

وطغى بحد السيف من سئمت فظاظته الفتوح
وتئن من أم على أرض تعشقها المسيح
واشتاق أحمدٌ قدسها وأعزّها البطل السميح^{(٢)٣}

يذوي بها مجد الصليب ولللهال بها جنوح

ولعصبة الشذاذ في أرجائها تبنى صروح

ولهم بها أمن المقيم وفي تخطيها طموح...
ولأهلها قلقُ الغمام تستبد بهن ريح

* * *

لاذوا بتيجان الملوك فكان غوثهمُ فحيح
لا نابهم دامٍ، ولا عزم الرجال بهم صحيح
وقصورهم للبغي ميدانٌ وللعليا ضريح
وفراخهم نَعَمَ الندامى اذ يطوف بهم مليح
قرنوا الغبوق إلى الصبوح فكل يومهمُ صبح

أزروا بحاتم فهو في ميدان أكثرهم شحيح

نَعَلوا النصارَ الغانياتِ وشعبهم طاوٍ يصيح

* * *

وبأرضنا، أرض الشام ، كرامةٌ تدمى وروح... .

عهد السياط فنتنه في كل زاوية يفوح

ومصرَ، لا أدري أأسياف تشعشع أم صفيح^(١)

والمغرب الدامي به ضر الأسيرة والرزوح

ومهدنا يُبنى الدمار ويحكّم الشرك الفسيح^(٢)

* * *

يا ساهراً يرنو إلى خرسا بشكواها تبوح

إن تلق في كبدي صداها لن أنوح كما تنوح
لي في غدي، ثقةً، تزوح الراسيات ولا تزوح

دمشق ١٩٥٣

غداً

غداً في غد تهدأ العاصفه
وتبسم جنتنا الوارفه
وينشد في غصنه العندليبُ
ويهدأ هذا الزئير الرهيب...

* * *

غدا تتلاشى السحاب الجهامُ
وينزاح هذا الظلام، الظلام
ويطوى الحديد على نفسه
وينتحر السوط من يأسه...

* * *

غدا تشرق الشمس في أرضنا
وفيها اشتياق إلى روضنا
فتلقى هزاراً مهيباً الجناحُ
وغصناً حطيماً بكف الرياح
وغصنا تطاول بين السحاب
تثرثر فيه بنات الغراب...

* * *

ولكن، غداً تهدأ العاصفه
وتبسم جنتنا الوارفه

وتبرا الجراحُ

وتهدا الرياح
وينشد في غصنه العندليبُ
ويذهب هذا الزئير الرهيب

مع العاصفه...

السويداء ١٩٥٣

يا شعب

«أيها العب ليتني كنت خطاباً
فأهوى على الجدوع بفأسي»
(أبو قاسم الشابي)
«فكونوا النار تحرق أو قذى في
عيون البطل أن كنتم رمادا».
(الشاعر القروي)

لو كان خطابَ شعبه
رهيفةً رغم حبه

في يأسه ما تمنى
كما يئن الجريحُ

لأرضه ولشعبه

يدوسه المستبيح

* * *

لو كان ناراً وجمراً

والغاضب المتحدي
بحقده وبحبه...

عرفتها في القديم

يا شعبُ غيري تمنى
يبري الجدوع بفأس

أيأستهُ فتمنى
وهجته فتغنى

يا شعب غيري تمنى
يشوي جباه الأعادي
أو لا فبعض الرماد

في مقلة المستبد
المستخف بشعبه

أما أنا، فبلادي

* * *

منذ انبثاق النجوم
أرضاً بلون الرجاء
تفيض نوراً وعطراً
فنملاً الكون سحراً
والدهر طيب الربيع...
عرفتها في الدموع
عرفتها في الشقاء
في محنة الأبرياء
وفي ظلام الدهور
أرضاً هي الكبرياء
تغار منها السماء...
وأمتي في العصور
رمزٌ لعز الكفاح
تشعُّ نورٌ ونارا
وفي ليالي الحيارى
منارةٌ للزمان
وهاجة فوق دربه...
يا شعب غيري تمنى
في يأسه، ما تمنى
أما أنا فرجائي
أن لا يخيب رجائي
في شعبي المتحدي
للغاصب المستبد

السويداء ١٩٥٣

الخريف

الخريف صورة من صور الشاعر ورفاقه
في طريقهم إلى المنفى وقد شردهم الطاغية في كل بلد ..
يرحلون كما ترحل أسراب السنونو
وبهم مثلها. أشواق إلى العودة.

عاد الخريفُ

فللوريقات اصفرار وارتجافُ
ولهنّ في الوادي حفيفُ
مثل ابتهاج الناسكين. . .
والغيم مرتعشاً يمر
ويهيم يرسم في الفضاء
صوراً يوشىها الضياء
والذاهبون إلى القطافُ
يتسابقون ويحلمون . . .
وعلى الدروبُ
همس الكواعب والطيوب. . .
وبأرض بيدرنا العتيقُ
ذهب يُكَّوم أو عقيق
وعلى السطوح وفي السماء
وعلى شريط الكهرباء
أسراب رهبان صغار
يتجمعون، يثرثرون. . .

وبهم إلى الدفاء اشتياقُ
وبهم لهيب الذكرياتُ
لحلاوة الماضي القريبُ
للروض للعش الحبيب...
ومع الغروب
يرفرفون، ويرحلون..

* * *

فمتى، متى يأتي الربيعُ
وتعود معطرة الورود
وتعود أسراب السنونو
وبها إلى بلدي حنين؟!...

السويداء ١٩٥٣

لا... لن أكون

لا، لن أكون...
وما خلقت لأن أكون

قصباً يرجّفه النسيم ، وتستخف به الرياحُ
ويذل في وجه الأعاصير الغضاب فيستباح
ويظل مرتجفاً، يقبل ، في المساء وفي الصباح

قدم الأعاصير الغضابُ
حتى تغفر بالترابُ
لا، لن أكون... .

* * *

لا، لن أكون

كما يشاء لي النصيح بأن أكونُ
غصناً، يميل كما تميل مع النسيمات الغصون
لَدنًا، يُسْفُ وينحني، حتى إذا عاد السكون

أضحى يطاول في السحابُ
هاما تعفر التراب
لا، لن أكون...

* * *

لا ، لن أكون

وما خلقت لأن أكون كما يريد لي الزمانُ
قصباً يرجفه النسيم، ويستقيم إذا استكان
أنا في إباء السنديان ، وفي عناد السنديان

فإذا الأعاصير الغضاب
دوّت تطاول في السحاب

السويداء ١٩٥٣

الحدّاد

الحداد

طاغية يحكم بالنار والمطرقة
ولكن النار... تضيء وتطهر
والمطرقة ...

لا تزيد الحديد إلا مضاء

أججٌ وحرّض نارك المُحرّقه
تضيء حتى الكوّة المغلقة
مثل أنين الذئبة الموثقه
وغلّفتها الظلمة المطبقة
فشعشعت، كالتبر في البوتقة
في حده، والبسمة المشرقه
دنيا غدٍ خيرةٍ مونقه
كهفا، ليبنى دارة شيقه
بين ذراعَي أختها الزنبقه
وفي ذرى جناتها المورقه

يا صاحبَ السندان والمطرقة
رهيبَةٌ نارك، لكنها
أنيسةٌ ، رغم زفير لها،
كم قطعة ران عليها الصّدا
ذوّبت في النيران أدرانها
وصغتها نصلا ، بريق الردي
أو سكة ، ترسم أثلامها
أو معولاً ، يهدم في أرضنا
تغفو على شرفتها وردة
ويلعب الطير بأرجائها

* * *

واضرب، فبئس الضربه المشفقه
ويشتهي السندان والمطرقة

يا مضمم للنيران زدها لظى
يهوى الحديد النّار وهاجّة

حمص ١٩٥٣

نجوى

نهر العاصي
سمي عاصياً لأنه يسير
من الجنوب إلى الشمال
في حين
تنساب أنهار سورية ولبنان
من الشمال إلى الجنوب....
وفي العهد الاستبدادي
الذي خيم على سوريا في عامي
١٩٥٢ و١٩٥٣ ومطلع ١٩٥٤
نفي الشاعر إلى حمص
فرأى في العاصي
صورة نفسه التي لم تخضع
لحكم قيصر وأشباه قيصر....

لا تحببي وجه الحبيب
المضمخ بالطيوب

يا خضرة الوادي الخصيب
بي لهفة المشتاق (للعاصي)

* * *

ثاروا على القيد الرهيب

نعم العصاة إذا هم

وتفلتوا فإذا السفوح تضح باللحن الغضوب... .

تختال بالثوب القشيب

نعم العصاة ضافهم

وطريقهم درب الضياء ومنبت الأمل الطروب

* * *

يا نهر، قومي في ذهول الطفل في البلد الغريب

هانو، فهم لا يعرفون
فاغفر، ولا تجزع إذا
سوى التشكيّ والنحيب
ظلموك بالنعّت المرّيب

* * *

يا نهر، ذنبك في إبائك بعض مالي من ذنوبِ

ما زلت مثلك عاصيا
والطيب ينبت في دروبي

حمص ١٩٥٣

أملٌ قضي

فقيد السيف والقلم

(الأمير عادل أرسلان)

يقوى على بث الأسي المتضرم
وتروع ذاك الخاطراتُ فيرتمي
يأس العيي ، وحيرة المتلعثم
كفّي، بلا وجل ، وقلت تكلم
وبغيره لما أثق بمترجم

هيهات، لا قلبي يكاد ولا فمي
هذا يحرقه اللهب فيشتكي
فاعذر، إذا ارتجفا ولاح عليهما
ولو استطعت بسطت خفاقي على
لرضيت عنه مترجماً لعواطفي

* * *

في أضلعي من حسرة وتأم
وترددت زفرات صدر مفعم
وتدحرجت حرى بلون العندم
ضرباته وسهام دهر مجرم

وكأما في كل نفس مثل ما
غلب التجلد والتجمل حزنها
وترقرقت درر العيون خضيبه
ظفر الزمان بها وكم عزت على

* * *

تبكي عليك ولا هلال محرّم
ومجيرها من طامع مستلثم
وجلوت غيب ليلها المتجهم
ومرقم ما خاف صولة أرقم

سيف العروبة ، لا العروبة وحدها
رزئت بك العليا وأنت نصيرها
أرشدت موكبها وصنت ذمارها
بعزيمة لم تعترف بهزيمة

* * *

أيُّ النسور يطوف ما طوّفته
مترفقا، مترفعاً عن كل ما
يا فخر كل مجنّح ضرب الهوا
أي الأسود يطيق ما جابهته
والخيل أرهقها العراك فعربدت
أي السيوف يظل مثلك مرهفا
في خدمة الحق السليب غراره
أي الدروع أشد منك صلابة
أي الزهور وان تفرّد نشرها
تهبُّ الرّجاء ليأئس فقد الرّجا
أمل قضى أمّا قضيت، وصفحة
عرف الزّعامة عفة ومروءة

شوقاً إلى المملأ الرفيع الأعظم
يَصمُّ النهى من مطمع أو مغنم؟!
من بلبل عذب الصفير وقشعم
تحت الغبار المرّ من برك الدم
تشكو الجراح بَعبرة وتحمحم؟!
لم يَنْبُ في أمر ولم يتثلّم
أمل الضعيف وملجأ المتظلم؟!
وأعز منك على الرزايا الحوم؟!
أذكي شذأً من نورك المتبسم؟!
ودم الشباب لبائس مستسلم
غراء من صفحات سفر قيم
لا وطأة من صولة وتحكم

حمص ١٩٥٤

يا حَبذا جبل الريان

كاد الجبل أن يتعرض
في معارضته لحكم الطاغية الاستبدادي
بين عامي ١٩٥٢ - ١٩٥٣
إلى كارثة مدمرة
لولا وعي الجيش والمواطنين
فانهزم الطاغية
ولجأ إلى الجزيرة العربية
التي خدعت به فأوته
ومن ثم أسرعت بطرده منها...

قيلت في استقبال قادة الجهاد ضد الطاغية

ملأت دنياك أشعاراً وألحانا

فزدتني بالغد المخضر إيمانا

يا شامخاً في سما حوران منتصباً

للعرب حصنا، وللعلياء عنوانا

إن ينطفئ فيك بركان، فقبضتنا

قد فجرتك على الطغيان بركانا

يحيي النفوس إذا ارتجت عزائمها

ويملاً الليلة الظلماء نيرانا

فالفجر مبتسم، والركب منطلق

والطير ينشد في الأجواء نشوانا

يا حبذا جبل الريان من جبل

وحبذا ساكن الريان من كانا

* * *

بوركت يا موطن الأحرار، ملتفعا

بالغيث حيناً وبالنيران أحيانا

أبيت أن تنحني يوما لطاغيه

أرادنا في ربوع الشام قطعانا

أغرى بنا القوة الهوجاء فانطلقت بأمره تملأ الآفاق أحزانا

لو كان غير بني قومي لما وطئوا

وكر النسور وأدموا فيه عقبانا

ذكرى اكتمها جمرا على كبدي

من أجل من كللوا بالنصر قتلانا..

واستأجر القلم الباغي وألسنة

كانت له في النضال المرّ أعوانا

تجاهلوا شمما فينا ومكرمة

وصفحة في صفاء السيف عريانا

بالمال عصب عينيهم، فما خجلوا

أن يطلبوا عن ضياء الشمس برهانا

وأتخم السجن والمنفى بمن رفضوا

أن يخدموه طواغيتا وعبادانا

وفرقّ التهم النكرا وأبدعها

وكاد يلصقها زورا وبهتانا

واستاق منا، يرّجّي عفوّه، نفراً

خبّاً، ومستضعفاً غرّاً، وربّانا

وخاملاً، غرّه الكرسيّ، فانقلبتُ

على محياه كبريتا وقطرانا

فجلجت في سما الشهباء عاصفة

عرباء تحطم انصاباً وأوثاناً^(١)

تمدّها من حمى الأحرار زغردة؛

فارتاع مرتجفاً واصفرّ حيرانا

وانساب تحت ستار الليل منهزما

لصا يجرّر اسلاباً وادرانا

* * *

شبل الجزيرة، هذا الضيف، معصمه

لما يزل بدم الأحرار ريانا

عَرَفُ الضيافة أن تحمي أخا شرف

لا أن تجير خضيب الكف خوّانا

تغيرت فيك يا صحراءنا قِيمٌ

أيام امسيت (للدولار) ميدانا....

* * *

مرحى لكم يا أباة الضيم في بلد

يلقاكمُ رغم دامي الجراح، جذلانا

عدتم وعاد الربيع الطلق وانقشعت

ظلامه أوغلت إثمها وعدوانا

(ابا طلال) هنيئاً ما ظفرت به

يا صارما في يد العليا، ما هانا

أبوك اسماك (سلطاناً) وصدّقه

ربّ ارادك يوم الرّوع سلطانا

السويداء ١٩٥٤

عتاب

إلى التي قالت: «ألا نوحى لك شيئاً»

بعتاب مشتاق إلى أنشادي
بركودها ، ومشاعري برقاد
ودم الشباب بغصنه المياد؟!
كالطلّ بين براعم الأوراد؟!
وفمي إلى الطيب المذوّب صادي
أخفى الرّماد نضارة الوقاد
أنشودة تبقى بلا انشاد...
يكفيه ما يلقي من الأعواد

ادميتني، إما رميت فؤادي
وظلمتني ، يوم اتهمت جوانحي
اتجاهلت عينك سحر جفونها
ونضارة الوجه الصبوح ، ومبسما
ما صخرة كبدي ، ولا ماء دمي
إن يبد في راسي المشيب فرما
وإذا سكت فخير ما عرف الهوى
لا تجرحي الطير الأسير لتطربي

دمشق ١٩٥٤

إلى هاجره

يا ساحر العينين، يا أسمر
من مقلّة هدهدها المُسكر
فما الذي من أمسنا تُنكر؟
وأنت لا تدري ولا تشعر
فالجرح لا ينسى ولا يعذر

هجرتنا! ما هكذا نهجرُ
فررت مثل الحلم المشتهى
لم ترفع الكف لتوديعنا
جرّحت بالهجران أكبادنا
يا ساحر العينين، إنْ تَنسنا

دمشق ١٩٥٤

يا نخيل العراق

يا نخيل العراق
أنشدت على أثر انضمام العراق
لحلف بغداد... .

يرفع الهام بعد شد الوثاق؟!
من فضاء مقطب الآفاق
وبعينيهِ دَمعة الإشفاق
وغناء الغرّيد شبه اختناق
عابس الشاطئين ، مرّ المذاق
وسجون رهيبة الأعماق؟
ودمٍ فوق منكبيه مراق
وصباحٍ بيدو بغير اشتياق
رغم أغلاله الثقال العتاق

يا نخيل العراق، مَنْ في العراقِ
تتسامى فأَيّ شيءٍ ترجّي
نجمه عنك، يا نخيل مشيح
والنسيم البليل لفح هجير
والضحوكُ الفرات يمضي وئيدا
هل ترى في العراق غيرَ سيات
وانتفاضاتٍ ثائرٍ يتحدّى
وظلامٍ مغلفٍ بالُمنايا
وغدٍ ، أمسهُ أعزُّ وأشهى

* * *

بجنان شهية الأعذاق
بين ألحان طيرها والسواقي

يا نخيل العراق ، مالك تزهو
تحتها أنهرٌ تهادى سكارى

فاخفِضِ الطرْفُ ، هل ترى غير شعب كادح ، نيرهُ على الأعناق

وجناه مرارة الاملاق
وضنّوا بفضلة الأطباق

يزرع الأرض بهجة ورجاء
بشم الغاصبون من كدّ يمناه

* * *

فوق أرض تنوء بالأرهاق
نزوةً من تآمر ونفاق
بيديها كوالح الأطواق
وبغا سيداً بأرض العراق^{(١)٧}

عَجَباً يا نخيل ، تشمخ زهوا
ونفوسٍ مريضةٍ سوّدتها
نذرت شعبها وقودا وشدّت
وأعادت ذكري ”وصيف“ أميراً

* * *

عن فؤاد العروبة الخفاق
واستغاثات قدسنا والبراق^{(٢)٨}

لا تُشِخُ يا نخيل وجهك عنا
واستجب أنة ”اللواء“ سليباً

* * *

كافرا، رغم غصتي واحترافي
منبت الطيب موطن الإشراق...
والرفاق الأباة فيك رفاقي
زأرةً الليث لا زغاء النّياق

يا نخيل العراق، لستُ بقومي
وبناة الأمجاد قومي، وأرضي
يا نخيل العراق، جرحك جرحي
فاحطّم القيد يا نخيل واسمِعْ

السويداء ١٩٥٥

لن يطول الظلام

...في المغرب الدامي....

أغرقي باللهيب، بالدم، بالدمع بلادي، فلن تُذَلَّ بلادي
وافرشي دربها الضحوك قتاداً واغمري جانبه بالأعواد
سنغطيّ الدروب بالمهج الحمر بصيحات ثأرنا، والجهاد
بالأعاصير تصطلي نُتفَ القيد وكفَّ المتعتع الجلاد

* * *

هدّمي احرقني، استبيحي فهذه الأرض، أرض الآباء والأجداد
يعربيُّ فؤادها، يعربيُّ روحها، يعربية الميلاذ
خُلقت للنضال، للفتح، للسيف، لزرع التاريخ بالأمجاد

* * *

قمم ”الألب“ لم تزل راعشاتٍ تحت أقدام مغربي النجاد^(١)

ذُمرت من ديب أطواده السمر ومن سهلة العراب الجياد
فتلوت تخاله حلماً ضجّ ولاذت محمومة، بالرقاد

وعلى صخرة المضيق تجلى	فارس من سفوحنا للطراد
سكرت باسمه، وأي فخار	لم يعصّب جبين شبل زياد
فجر الصبح حولها باليمانيّ	فشعت منارة للرّشاد
ومضى يزرع الدنا ذكرياتٍ	من ندى شرقنا وعزّ البوادي

ذكرياتٍ يغار من طيبها الطيب وتندى براعم الأوراد...

* * *

كل باغٍ وطامع في قياد
تحت أعراشهم بقايا بلادي
وشدوا كوالح الأصفاد
بزئير الآسادُ سمرُ الوهاد
عزمات الجبابر الأسياد
صارماً عاصياً على الأغماد
أرضنا بالنجيع لا بالمداد

وغفونا عن الزمان، فأغرى
شيعاً مزقوا، بلادي، فهانت
واستباح الغزاة في ظلمهم قومي
فانتضى السيف كلُّ حرٍ ودوت
شهد الريف والجزائر منا
وبأرض الشام لم تلق إلا
وأساطير وثبه سطرته

وذريرها سحائباً من رماد * * *
زمجري، واغمري الرحاب دويماً

وأشيعي الحداد في دارنا البيضاء، واستعذبي ثياب الحداد

ودمانا للضاريات الصّوادي
واليتامى لمنسم الرواد
أو شمّت لهفةً للضماد
لشفارٍ عوارم الأحقاد
ثورة من تمرد وعناد

وأبيحي لكل عالج حمانا
والعذارى لكل وحشٍ تمطى
عتب المجد أن سمعت أنين الجرح
عتب المجد أن شكوناك إلا
ونفوسٍ ما زادها الضيم إلا

لن يطول الظلام والفجر يفتّر على مبسم الرّقاق الحداد

السويداء ١٩٥٥

عدنا

أنشدت في مؤتمر المعلمين العرب
في الاسكندرية

عدنا فيا أمجاد عودي
نحنو على الدنيا ونغمرها
ونضيء في جنباتها

عرباء مشرقة البنود
بأطياب الورود
قَبَسَ المكارم من جديد

* * *

عدنا إلى الزمان منارة الزمن البعيد

في شاطئٍ لما يزل
نُذِي سناها كلما
بالنور من أحداقنا

يهب الرجاء إلى الوجود
شاءت بمعطار الوقود
والنار من مهج الكبود

* * *

عَصَفَتْ بأشعة الغد المخضِرِّ والأمل العتيد
هوجُ الأعاصير الغضاب تضحج عارمةً الحقوق
والليل يقبل في سحائبٍ مثل جنح الليل سود

فإذا منارتنا تطلُّ كبسمة الفجر الوليد
وإذا الشراع مصفقا يهفو إلى القبس الرشيد

* * *

عدنا نردّ إلى العروبة عزة الأمس المجيد
وكرامةً عبث الغزاة بها وكالحة القيود
فتمزقت نتفا بلادي بين أشلاء الوعود
وتطاولت فيها عروشٌ تحت أقدام العبيد

وتنمّرت في ظلها
فإذا انتفاضات الإبا

أطماع باغ أو طريد
تزري بدمدمة الرعود

دوتّ فلا الأحلام مغرية ولا طعم الهجود

فالشام ترصف دربها
بجماجم الشمّ الأسود
وتمرّ ظافرة على
أشلاء فاتحها الطريد

وتعود تبني للعروبة فوق أمجاد الجدود

* * *
وعلى ضفاف الرافدين زئير ليث في حديد
أن تُدْم كَفِّيهِ القيودُ فلن يلين على القيود
وإذا استكان، فَرَبَّ إعصارٍ تفجر من ركود...
ومغرب العرب الخصب تمور لاهبة النجود
شماء، عيد الثأر في جناتهن وأيّ عيد!...
ومصر، عرش البغي مدحور وفاسقة العهود
أكرم بثورتها وبالشعب المظفر والجنود

وبقائدٍ يبني غداً
للعرب من روح الخلود

يا قائد الجيل الجديد وملهم الجيل الجديد
ومروّض "الاسد" الحقود وحاطم القيد العنيد

إنّا هنا، فاحطم بنا
وارفع على أشلائنا
دنيا أساطير الحدود
أمجاد "عُقبة" و"الوليد"

فلمثلنا شرفُ الفداء وعزة الحر الشهيد
ولنا الغد الطلقُ السعيد يدك أحلاف (السعيد)

الإسكندرية ١٩٥٦

في غدٍ تزحف الجموع

أنشدت قبيل الاستفتاء

على وحدة الإقليمين

سورية - مصر - ١٩٥٨

وأناشيدُ عزّةٍ وحداء
وفرتْ سياطهُ الرعناء
حدودٍ رهيبَةً نكراء
و به من سنا الرجاء سناء
يا روايي، وهللي يا سماء
وإنّا في أرضنا طلقاء...

أشرقَ الفجرُ فالدروبُ ضياء
وانطوى الليل، ليلنا القاتم الدامي
وتلاشت مع القيود أساطيرُ
وتهادى الغد الضحوك طليقاً
إنها فرحة الحياة، فميدي
وتغنّي بأمتي، أنها عادت

* * *

فانساحوا فلولاً يقودهم غرباء
وتهاووا وهم جياع ظماء
عن مصير، تنمرّ الاجراء
وتعالّت صلاتهم والدعاء
وجاشت بصدرا الكبرياء
وروت سفحنا الرهيبَ الدماء
وهم في بلادنا الأوصياء...
نخراتٍ يسوسها دخلاء
وذئابٌ في أرضنا حلفاء!...
أمةً، رغم أنفهم، عرباء
تحت أقدام فجرنا أشلاء

ضلّ قومي في مَهْمِهِ الأمس
عَرَّهْمُ خادع السراب فهاموا
كلما ضجّ، أو تساءل ركبُ
واستحثّوا مكارم الصبر فيه
وإذا ما الحسام جردّ للحق
وتهوت (ميسلون) الأضاحي
أوماؤا للغزاة أنا عصاةُ
مَرَّقوا شعبنا ليبنوا عروشاً
يا لسخريّة الزمان، رعاةُ
خسئوا لم نكن قطيعاً، وإنّا
إن غفت حقبَةً، فهذي الليالي

* * *

أيها التائهون في مهمه الأمس
أزهرت واحة العروبة وافتزت
وتثنت فيها الجداول سكرى
أقبلوا، أيها الحيارى، فهذا الدرب
دربُ حرّيةٍ يباركها المجدُ
دربُ توحيدِ أمّةٍ جبلتها
كلما راعها الزمانُ، وهزت
أنبتَ الله من ثراها حساماً
يرتمي دونه لهاثُ الأعاصير

سراب دروبكم وشقاء
وماست جناها الخضراء
وترامت في ربعا الأفياء
طلّق، مشوّق، وضاء
وتبني صرّوحها الشهداء
من عبير المكارم العلياء
جانبيها العواصف الهوجاء
فيه من عزة الإله مضاء
وتضحى من حدّه الظماء

* * *

بيديها ما هدم الأعداء في غدٍ تزحف الجموع لتبني

وحدةً من هُداتها الصّيد (شكري) و(جمال) المظفر البّناء

والحنايا هتافها استفتاء الصناديقُ ، لاقتراعِ فضولُ

يا ثارت عثمانا

أقيت في حفلة التأبين التي أقيمت في حماه
إحياء لذكرى الفقيه عثمان الحوراني

ذكرى، أذبي حنايا القلب تحنانا

وغرقي بعصي الدمع أجفانا

وعذبي الكبد الحرى فلا شفيت

إذا استطابت على الأيام سلوانا

أيغمر العطر أن تحجب براعمه

أو ينصل الكوكب الوضاء إن بانا!

* * *

يا راقداً لم تذق طيب الكرى زمناً

تحنو على الوطن المكوم سهرانا

ترعاه بالمقلة اليقظى وتمنحه

من بسمة الثغر آمالاً وإيماناً

وبالمهند في الهيجاء منسلطاً

وضاء يرفعُ أحقاداً وأضغانا

وبالمحبة تبني في مرابعه

معاقلاً كرمت جنداً وبنيانا

كالغيث أنى همى فالأرض ضاحكة

تميس نوراً وأطيباً وأفنانا

وكالمنارة إنى أشرقت غمرت

درب السفينة أضواءً وألحانا

* * *

يا راقداً لم تهن يوماً عزيمته

والقلب يدمى جراحات وأشجانا

يمضي إلى الغاية الكبرى بلا سند

طاوي الحشا يتحدى الموت حرانا

أفق أتسمع في بغداد صيحتنا

عرباء تهتف يا ثارات عثمانا

الناصبون لك الأعواد كالحة

والناذرون لها ظلماً وعدوانا

والزارعون قتاداً درب أمتهم

والناثرون دروب البغي ريحانا

والراقصون على الأشلاء دامية

واللابسون من الأدران تيجانا

تشبث الحبل في أعناقهم غرداً

وارتج يعصر جلاداً وسجانا

وأفلت القيد من أقدامنا وهوى

على جماجمهم ناراً وقطرانا

في وثبة زعزعت عهداً وطاغية

وهدمت من صروح البغي أركاننا

وحطمت من سجون الشعب أنكرها

وضمخت بعبير النصر دنيانا

ما كان أطربها وقعاً وإن زارت

في هداة الليلة الغراء بركانا

بي غصة إن نغني في مواكبها

وأنت بالبسمة الخرساء تلقانا

* * *

آمنت بالغد بساما وكنت به

مبشراً والظلام المر يغشانا

وكنت بالثورة الكبرى أختة

والشعب يرسف في الأغلال حيرانا

وبالعروبة لا حد يفرقها

روح توحد آمالاً وأوطانا

إذا استبد بها الأعصار ألهبها

فأشعلت جنبات الليل نيرانا

ودمرت من تمنى أن يدمرها

أحلاف شر وأعراشاً وأعوانا

فاهناً فهذا غد، عز ومكرمة

يلوح خلف شراع الفجر ريانا

في موطن تنبت الأمجاد تربته

وأمة شاءها الرحمن ربانا

يهدي السفينة في الجلى ويرشدها

للشاطئ الباسم المخضر جدلانا

رسالة حملتها أمتي قدماً

وبلغتها أناجيلاً وقرآنا

* * *

نم هائناً فالغد المخضر شاطئه

غنى لمقدمنا شوقاً وحيانا

وأنت من شرفات الخلد تنضحنا

بالورد حيناً وبالأطيب أحياناً

* * *

نم هائناً ولك الذكرى التي غمرت

أرواحنا أرجاً فذاً وعرفانا

ذكرى ستبقى مناراً يستضيء به

ركبٌ تعشق درب المجد مذ كانا

حرُّ لواء النصر معقود (بناصره)

والحاطمين طواغيتاً وأوثانا

حماه ١٩٥٨

ذكريات

ذكريات

صور من حياة الشاعر
الذي رافق أحداث الوطن الدامية
من ثورة ١٩٢٥، وهو طفل....
إلى المنفى والخيام في الصحراء
إلى مظالم المستعمرين
واستبداد الدخلاء والخاصين
ودسائس العملاء... وهو شاب
إلى تحطيم القمقم الرهيب
وانتفاضة المارد العربي ...
بعد أن كاد يرهق الدهر
همته وشبابه

١٩٥٩

وسقتني كفاه مرّ الشراب

أرهق الدهرُ همتي وشبابي

وتراءى غدي ظلاماً ، وآمالي سراباً يغوص خلف سراب
لا تلمني، فقد ولدت مع الخوف شريداً، ملفعاً بالضباب

وشفاهُ الغزاة خَلَفَ الحراب
ناثراتٍ أشلاءنا في الروابي
والليالي برعشة وارتقاب...

هائماً، تطلب الحرابُ دمائي
ونسورٌ من الحديد تدوي
زارعاتٍ دروبنا بالمنايا

* * *

حملتني أمي مع النسوة الثكلى
في كهوف الذئبان ترجو ملاذاً
والحفاة الأيتام حولي جياغ
وهامت مذعورةً في الشعاب
لبنيتها، من الطغاة الذئاب
والأيامى في غصة وانتحاب...

لم يعد، لم يعد أخوك، وتبكي.... ثم أبكي بدهشةٍ وارتياب

* * *

وأبي عاصبُ الجبين جريحُ
وعلى نصله بقايا خضاب

يتغنى بأنه والميامين من الشيب والأباة الشباب
أشهدوا أن (في السويدا) رجالاً، أسداً فوق صافنات عراب
عصبه يعربية الأصل لم تعرف ذراها رطانة الأعراب
للمرورات، للندی، لنداء الثار، للطيب، للرزايا الصعاب...

* * *

وتنقلت في الخيام مع الحرمان في مهمه بخيل السراب
هجرته حتى السباع وحتى قطرات الندى وظل السحاب
عشت فيه أجفف الدم والدمع بأنفاس حره اللهاب

لا أنيس إلا صهيل جواد
أو نشيد من ساهر يبعث الشوق
يشتكي من مذلة الأطناب
لهيباً على أنين الرباب

شوقنا للديار، للكرم، للبيدر، للفيء، للشذا، للتراب

* * *

وترعرعتُ، صرخة الثأر في سمعي ونار الحقود في أعصابي
وبلادي في قبضة البغي أشلاء تلوى في لُجَّةٍ من عذاب

أو عميلٍ مستحدثٍ أو محابي
بدم من جراحنا مستطاب

تحت أقدام غاصبٍ أو دخيلٍ
نخراتٌ عروشهم، والغات

* * *

في انتفاضات مارد غلابٍ
في محياه بسمة كالشهاب

وإذا رعشة الحياة تدوي
حطمَ القممَ الرهيبَ، وشعتُ

تهزم الليلَ، ترسم الدربَ، تجتثُّ بقايا الأوثان والأنصاب

حرة يعربية الأطياب
بعض عزمٍ من عزمك الوثاب
أنَّ بي، من مرارة الأمس ما بي

يا زعيمي، يا ملهم الجيل روحاً
دربك الدربُ لا نحيد، وفينا
وإذا أنت الحنايا، فعذري

* * *

وأغني غدي لحوون الشباب

سوف أسلو لأجل عينيك أمسي

ذكرى المالكي

في ذكرى
عدنان المالكي
شهيد العروبة

١٩٦٠

وأطوي بالنشيد أنينَ روحي
وعَابَسَةَ المِرابِعِ من سفوحي
ويوقظ، بعد غفوته، طموحي
وأسرقها من الجفن القريح
وأنعمَ بالفؤاد المستريح

سأبسمُ رغم دامية الجروحِ
وأسلو بالغد المخضرَّ أمسي
فأمضي، والرجاء ينير دربي
أحاول أن أُللمم ذكرياتي
وأقتبلَ الحياةَ بغير أمس

* * *

لأحجبهُ عن الفجر الصبيح
وطَيْفُ الأَمْسِ يهزأ من جنوحي
تورِّقُ مقلّة الغرد المُشِيح
تضمّخ من دم البطلِ الذبيح
أبيّ، رغم كبوته، جموح
منارٌ يستخف بكل ريح
ربيبَ الليل بالقَبَسِ المبيح
ولا توهُّ عن الدرب الصريح
يهز جوانب الكون الفسيح
تدفق من جراحات المسيح

مددتُ يدي إلى الماضي برفق
فعدادت وهي حاملةٌ عتابا
وذكرى المالكي لهيب نار
أطلت في دياجينا شهابا
فأحيا بالشذا أنفاس شعب
وشق بضوئه حُجُباً عتاقاً
ويفضح كل خافية، ويرمي
ويهدّي الحائرين، فلا انحرافُ
ويعلو من منارته هُتاف
لئن صلب المسيح فألفُ فجرٍ

* * *

بحقك أيها القبس المدمى
بحق ربيعك الطلق المسجى
تقبل أن شكوتُ الأمس عذري
ألمح فيه غيرَ رنينِ قيدٍ
وأهاتِ اليتامى والأيامى
وليثٍ عن خميلته طريدٍ
وأسيادٍ من العبدان تترى
كفرت بسالف الأيام ، لولا

بحق نظارة الوجه المليح
وبالسيف الميتم والضريح
وإن أغريتُ بالسُلوان رُوحِي
وأفاقٍ كحالكَةِ المسوح
وأناثِ المُشرّدِ والجريح
ونسرٍ فوق ملعبه طريح
وأعراشٍ تُشيدُ من صفيح...
دم الشهداء يعبق بالنضوح

* * *

فتى الهيجاء، إن رزئتِ بلادي
وإن تطمَعُ لمصرعك العوادي
فمنا ألفُ عدنانٍ سيمضي
ويغسلُ بالشهادة كلَّ عارٍ
فنمشي ، والفتى العملاقُ يعلي
ويحتضن الرسالة من يديه
فلا الإعصار يُرهبه غضوباً
يحاول أن يطاوله دعِيٌّ
لأن طالت ظلالُ الشيخ يوماً
وأن نجى الظليم ذرا كثيب

بفقد العصب والرأي الرجيح
فتغري الغاصبين بنا ، وتوحي
ليعصف بالبغيّ المستبيح
ويثأر بالفتوح من الفتوح
لواء المالكِي على الصروح
بقلبٍ واثقٍ، ثبتٍ، سموح
ولا همس الدسائسِ والفحيح
تسنم ظهر قزم أو كسيح...
أتغمرُ دوحَةً أفياء شيخ
فما فرخ النعامة بالسبوح

* * *

وثقتُ بمنقذ العرب المفدى
يوشي بالكرامة ذكرياتي

لكل جوارح الغردِ الصدوح
ويأسو بابتسامته جروحي

دمشق ١٩٦٠

(setontooF)

(١) إشارة إلى قصيدة: (أخي) لميخائيل نعيمة.

«... فهات الرفش والمعول

لتحفر خندقاً آخر

نوارى فيه أحياناً...».

(١) في أنطاكية (لواء الاسكندرون).

(٢) صلاح الدين.

(١) كان الحكم الاستبدادي في سورية في أوجه، وكانت الثورة في مصر في مرحلها

الأولى.

(٢) مهدنا: الجزيرة العربية.

(١) مدينة حلب الشهباء.

(١) «خليفة في قفص بين (وصيف) وبغا

يقول ما قال له كما تقول البغا»

(٢) لواء الاسكندرون السليب.

(١) هانيبال.